حلقة جديدة بين مصر وسوريا

المكتشفات الاثرية الجديدة في شمال سورية

للمسيو شيفر مكتشفها

(نقلاً عن مجلة اخبار لندن المصورة)

كنت في سراي اللاذقية عاصمة دولة العلويين بشمال سورية فسمعت قصة هي اقرب القصص الى الخرافات. ذلك ان قبطاناً انكليزيًّا كان راسياً بسفينته في مرفإ اللاذقية فدعا وكيل شركته فيها الى مرافقته في مركب الى الاسكندرونة. ولما صارا على عشرة اميال من اللاذقية نبّه القبطانُ رفيقهُ الى فرضة تحيط بها صخور بيضاء الى يمينهم. وعلى مقربة من هذه الفرضة التي تصحُّ ان تكون مرفأً طبيعيًّا مع انها مهجورة الآن، شاهدا اكاماً صغيرة فقال القبطان ان جدَّهُ الذي كان بحّاراً مثلهُ اشار عليه بالنقب فيها متى تسنّى لهُ ذلك. ثم قال: «لا بدَّ ان نجد هنالك اشياء ثمينة مطمورة في هذه الاكام!»

ولما كنتُ ابتاع بعض ما احتاج اليه في أسواق اللاذقية كان قد سرى بين جمهور الاهالي ان اثريًّا فرنسيًّا ينوي ان ينقب في «الميناء البيضاء[1]». فقال لي بعضهم وهم لا يدرون حقيقة حالي ان بعض الوطنيين القاطنين في جوار الفرضة المذكورة وجدوا قطعاً ذهبية قديمة

وحدث ما يؤيد هذه الاقوال في مارس سنة ١٩٢٨ ذلك ان علويًّا كان يحفر في حقله على مقربة من الفرضة المذكورة عثر على لوح حجري رفعهُ فانكشف امامهُ سرداب يؤدي الى غرفة مربعة مستطيلة مسقوفة سقفاً منقوشاً ومزخرفاً فلما افرغ الغرفة عثر فيها على بعض آثار ذهبية ولكنهُ اخفاها عن الناس ولعلهُ باعها بعدئذ فيما يباع من الآثار القديمة

واتصل نبأ هذا الاكتشاف بالمسيو شوفنر حاكم دولة العلويين الحالي فذهب الى البقعة التي كشف فيها عن السرداب والغرفة المذكورين وكتب في الحال الى المسيو فيرلّو مدير الآثار ببيروت. فبعثت ادارة الآثار السورية بعض رجالها فعاينوا المكان وبحثوا فيه فلم يجدوا الا بعض آنية خزفية لعلَّ صاحبنا الفلاح لم يعرف قيمتها فتركها في مكانها. ولكن المسيو ديسّو من علماء المعهد الفرنسي يرى ان تاريخ هذه الآنية يرجع الى القرن الثالث

---

(١) (المقطف) للميناء بعد في المعجم مرسى السفن وذكر. وقد ابقينا على اللفظ المصور مع صفة التأنيث لان هذا هو الاسم السائر على السنة العامة هنالك

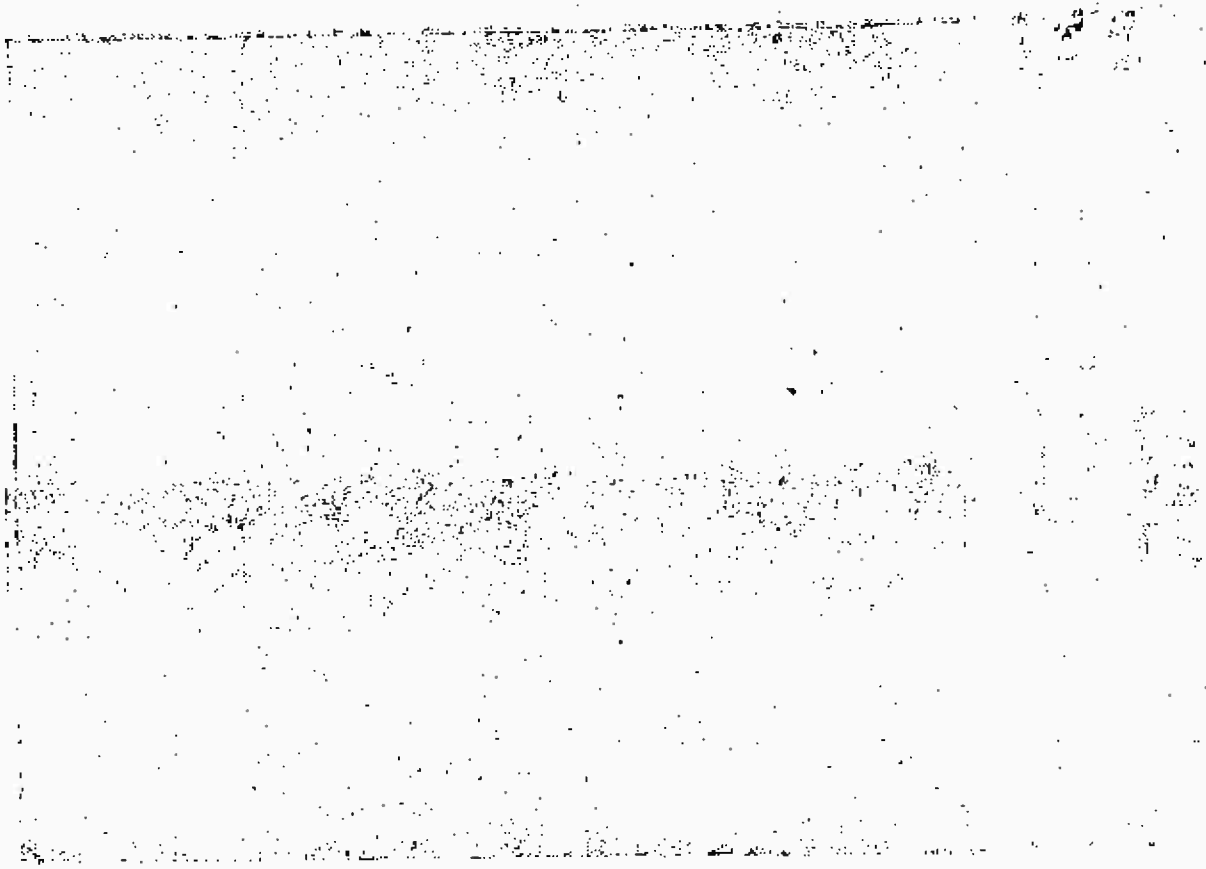

ابدع قطعة من العاج المصري القديم كشف عنها حتى الآن في مدافن « تل العمارنة » منقوشة نقشاً بارزاً تمثل الالهة « اخسب » وهي عارية الصدر ولكنها لابسة على رأسها تاجاً ومرتدية رداء يغطيها من وسطها الى اسفل قدميها وعلى جانبيها ثعبان واقفان على ارجلهما الخلفية يأكلان من سنابل القمح في يديها

مقتطف دسمبر ١٩٢٩ امام صفحة ٥٥٥

عشر قبل المسيح وانها قبرصية او ميسينية في اصلها . على ان هندسة هذا المدفن وعمارته ذكرتا الباحثين بهندسة المدافن الملكية في كنوسس بكريت التي كشف عنها السر ارثر اڤانس

***

لم يجز الباحثون الاثريون الى اوائل السنة الماضية على آثار من هذا القبيل على الشواطئ السورية. اما المسيو دينو فلا تخامره خلجة ريب في ان « الميناء البيضاء » كان مرفأ قديماً تقيم فيه جالية قبرصية كريتية كانت تتجر بالبضائع المستوردة من كريت وقبرص ومصر مع بلدان ما بين النهرين

والواقع ان هذا الميناء في مركزه على الشاطىء السوري يواجه طرف قبرص الشمالي الأقصى وهو مركز تتفرع منه الطرق والمسالك الى داخلية البلاد. والمرجّح ان النحاس من منتجات قبرص الذي كان يستعمل حينئذٍ في صنع الأسلحة الحربية بدلاً من الحديد كان من اهم مواد التجارة في ذلك العصر. وتلبية لاقتراح المسيو ديمونت المعهد الافرنسي بناً الى هذه البقعة غرضه البحث عن البلدة القديمة التي كانت قائمة هناك ومرافئها ومدافنها وعهد الى كاتب هذه السطور بادارته والاشراف على اعماله. فاخترت لمعاونتي المسيو شنه الاركيولوجي الأرجواني

وصلنا « الميناء البيضاء » في آخر مارس سنة ١٩٢٩ ومعنا قافلة مؤلفة من سبعة جمال وبضعة حمير وخيل حاملة امتعتنا . وشرعنا في النقب بعد نصب مضاربنا وتدبير امور معيشتنا على اننا قضينا الاسبوع الاول نسبر الأرض ونحفر فيها قليلاً هنا وهناك ثم بدأنا ننقب فيها حسبناه مركز مدافن المدينة فأسفر حفرنا عن العثور على كنز حافل بالآثار القديمة. ففي بقعة لا تزيد مساحتها على ٣٠٠٠ متر مربّع تبعد نحو ١٥٠ متراً عن البحر عثرنا اولاً على ثمانين كسرة من الآثار التي كانت تدفن مع الأموات بينها آنية خزفية من صنع اهل البلد نفسها وآنية اخرى قبرصية وميسينية وبعض حجارة صغيرة منها ما كان وزنه وزن المينا المصرية تماماً اي ٤٣٧ غراماً وبعض غرام . وفي اماكن اخرى عثرنا على ألواح حجرية كبيرة واحجار مستديرة منقوبة في وسطها كانها حجارة الرحى وأخرى مكبة وأخرى تمثل عضو الذكر للتناسل [1] . اما العظام التي عثر عليها فكانت كلها عظام حيوانات ، ولم يوجد بينها عظام بشر على الاطلاق

وفي وسط هذه البقعة وعند اسفل جدار لا يزيد علوه على نصف متر عثرنا على طائفة من التماثيل الصغيرة والجواهر كلها ذات قيمة فنية وتاريخية عظيمة . وأول اثر عثرنا عليه ومهّد لنا سبيل العثور على الآثار الأخرى كان تمثالاً صغيراً من البرونز لباشق

(١) كانت هذه الانصاب تعبد في الامم القديمة من قبيل الاحترام لقوة اخلاف النسل وحفظه

جاثم وعلى رأسه تاج مصر العليا والسفلى كأنهُ الاله هورس . وكان هذا التمثال ملقى بين بقايا وعاء خشبي محطم وكسر كأس فيرصية جميلة. وعلى مقربة من هذا الباشق وجدنا تمثالاً آخر مصفح بالذهب هو درّة من درر الصناع الأقدمين . والظاهر ان روح الأسلوب الفني فيهما مصرية ولكن صانعهُ مع تأثره بالروح المصرية جرى على طريقة خاصة به في التمثيل والنقش . لأنك لا تعثر في الآثار المصرية على تمثال باشق قابض بمخليبه على الأفعى (الكوبرا الافريقية) كما هي الحال في باشق « الميناء البيضاء »

وعلى بعد نصف متر وجدنا تمثالاً صغيراً لاله جالس . اذا نظرت الى رأسه من الجانب حسبتهُ مصريًّا وكانت العينان منزلتين في الميناء والفضة . وقربهُ وجدنا تمثالاً صغيراً لاله واقف علوهُ ٢٢ سنتمتراً كأنهُ يتحفز للمشي . وكان على رأسه غطاء مصفح بالذهب يماثل بعض ما كان يلبسهُ الفراعنة وملوك الحثيين . وعلى وجهه خوذة من ذهب خالص . أما جسم التمثال فمصفح بالفضة وعلى ساعده الايمن سوار ذهبي . وهذا التمثال هو ولا شك ابدع مثال للاله الفينيقي رشف . وقربهُ وجدت حلية ذهبية نقش عليها نقشاً بارزاً تمثال الالاهة عشتاروت الجميلة واقفة وماسكة زهرة لوتس بكل من يديها . وفي التراب حوالي هذه التماثيل ،وجدت خرزات عقيق تمثل حب الزيتون في حجر العقيق واسطوانات من حجر الكوارتز وردية اللون وثمار الاجاص في حجم عين الهرّ

وعلى عشرين متراً الى جنوب هذا الكنز كشفنا عن غرفة تحت الارض يرجح انها كانت مدفناً ولكن بناءها لم يكن قد تمّ فوجدناها فارغة . وتحت الحجارة التي امام المدخل الى هذا المدفن وجدنا مقبرة جديدة كاملة فيها ممرّ يفضي الى المدفن نفسه وهو مسقوف بسقف منقوش ومزخرف . وعثرنا في الممرّ على آنية مزخرفة ومدهونة وعلى مصابيح وقنائل تركت مضيئة لان دخانها سوّد الجدار وراءها وفوقها . ووجدنا كذلك وعاء سليماً لهُ مقبضان من الالابستر المصري . وأمام المدفن كانت جمجمة فتى ولعلهُ خادم قتل امام مدفن سيده

ولما دخلنا المدفن نفسهُ ظهر لنا انهُ نبش وسرق من زمن بعيد . والظاهر ان السارقين كانوا عارفين بطريقة بنائه فزحزحوا احدى حجارة القفل في سقفه ودخلوا من الثغرة التي احدثوها . فجردوا الهياكل من حليها ورموا بالعظام في زاوية الحجرة . والمرجح ان اربعة جثث كانت مدفونة هناك ولكن لم يعثر على ناووس ما . اما الادوات والمفروشات التي دفنت مع الجثث فكانت آنية في الثروة والبهاء كما يستدل مما بقي منها — خرزات ذهبية واحجار كريمة وآنية من الخزف عليها تصاوير فيرصية وميسينية وكؤوس زجاجية وأوعية مصرية من الالابستر ووجدنا كذلك خاتماً ذهبيًّا واسطوانة من حجر الصرف (الحمّاهان)

... روزيه ... الكتابة
... زوبة الموصوفة في المقالة
مقتطف ديسمبر ١٩٢٣

... ثال ... عليه الاله ... يحدق ... رشف
وهو متحفز للهجوم وعلى ذراعه سوار

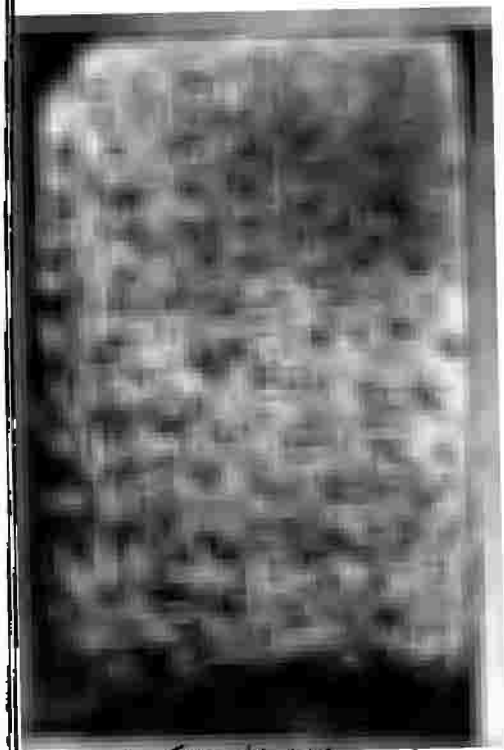

لوح من الالواح الخزفية الكثيرة
المتقوبة بالكتابة المسمارية الاتجدية
امام الملك ٥٥٢

(١) الباشق البرونزي وعلى رأسه تاج مزدوج كما وجد (٢) الباشق نفسهُ بعد تنظيفهِ في متحف اللوفر (٣) باشق مصفح بالذهب مصنوع على الاسلوب المصري ومكانهُ يختلف بقبضهِ على رأس الكوبرا (٤) الباشق نفسهُ من الوراء

واهم من كل هذا علة من العاج عُثر عليها سليمة وقد نقش عليه صورة الاهة مكشوفة الصدر لابسة رداء يغطي جسمها من وسطها الى اسفل قدميها جالسة بين تيسين واقفين على ارجلهما الخلفية وهذا النقش يمثل رتبة راقية من الفن بجماله وحسن اتساقه . اما الالاهة فشبيهة بالالهات الحسب الميسينية والكريتية في تيرنس وكنوسس في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. واما العاج فمن اغنى اصناف العاج التي اكتشفت الينا من الازمنة القديمة . وقد جعلت هذه التحفة في مكان الشرف بين الآثار الشرقية بمتحف اللوفر

ان مدافن « الينا البيضاء » بما وجد فيها من الآثار النفيسة فنًّا وتاريخاً تشبه المدافن الملكية التي عُثر عليها في ازوبانا وزافرباپورا بجزيرة كريت . ومما لا ريب فيه ان مدافن «الينا البيضاء» كانت تحتوي على جثث اسرة من الامراء لم تعرف قبل الآن في شمال سورية. لذلك اتجهت انظارنا بعد وجود ما وجدنا الى البحث عن القصر والمدافن الملكية هناك

***

على الف متر من الشاطئ تقوم اكمة علوها ٢٠ متراً وطولها الف متر وسمتها ٥٠٠ متر تُدعى «رأس الشمرا» فانتقلنا بمعداتنا اليها واخترت ذروة الاكمة المتجهة الى البحر للشروع في الحفر حاسباً ان آثار القصر الملكي يجب ان تكون هناك . فما ازلنا الا قريباً عثرنا على اُسس محكمة البناء وجدنا فيها حجراً برونزيًّا وبقايا تماثيل من الجرانيت لاحد الفراعنة وانصاباً مصرية عليها كتابة هيروغليفية من الكتابة الخاصة بمصر الامبراطورية الجديدة . واحدها مقدم الى الاله ست . فمكنتنا هذه المكتشفات من تعيين تاريخ القصر في الالف الثانية قبل المسيح واستدللنا على ان الملوك القاطنين فيه كانوا اصدقاء للمصريين او حلفاءهم . وقد لا يمضي زمن طويل قبلما تتمكن من معرفة دقائق العلاقات السياسية بين البلادين في ذلك العصر لاننا عثرنا على طائفة كبيرة من الالواح اخرج عليها كتابة مسمارية . وبين هذه الالواح رسائل شديدة الشبه برسائل تل الامارنة التي تحتوي على وصف العلاقات السياسية بين ملوك سورية وفراعنة الدولة الثامنة عشرة

ومما يجعل هذا الاكتشاف ذا شأن تاريخي خطير ان الكتابة المسمارية تختلف عن كتابة ما بين النهرين والظاهر ان لها انجدية لاننا لم نعثر الا على ٢٦ اشارة مستعملة على هذه الالواح وقد اخذ المسيو فيرلو مدير الآثار ببيروت يدرس هذه الالواح محاولاً قراءتها

ووجدنا قرب هذه الالواح مجموعة منحوتة تحتوي على ٧٤ قطعة برنزية من الاسلحة والادوات محفوظة حفظاً تامًّا بينها سيوف وخناجر ورماح وفؤوس وفروش ومقصات ومناجل وسهام . وبعض هذه الادوات منقوشة بالكتابة المسمارية المشار اليها